المبحث الثالث

اليوم الآخر في الفكر الإسلامي

معناه:

من الأمور المسلّم بها في الدين الإسلامي الاعتقاد بحياة أخرى بعد الموت، يبعث الناس بعد موتهم، ويحاسبون على ما قدّموا من أعمال، فيجازون عليها، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنة الخُلْد، وأما الذين كفروا وعملوا السيئات فلهم النار، يُشْقَون فيها بالعذاب الشديد ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

تسميته:

وسمي باليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا، بمعنى أنه متصل بآخر أيام الدنيا، لأنه ليس منها، حتى يكون آخرها.

وسمي بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم، وقيامهم بين يدَي خالقهم، وقيام الحجة لهم وعليهم، وله نحو ثلاثمائة اسم(*).

حكم الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، يكفر مَن لا يؤمن به بالإجماع، على ما تقدم ويأتي بيانه. وقد فصل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أخبار اليوم الآخر، وما يتصل به من مشاهد القيامة، وفصل أوصاف أهله في الجنة والنار، برزت فيه المشاهد حية واضحة مكتملة السمات، تخفق لها القلوب، وتقشعر منها الأبدان.

(*) الباجوري على الجوهرة ج٢ ص٧٦.

طريق ثبوته:

ومن الطبيعي أن هذه الأخبار والأوصاف من الأمور الغيبية التي لم يدركها أحد، إذ أن وقوعها يكون بعد الموت.

لذلك فإنا سنقتصر في بحثنا هذا على ما ورد فيها من تلك الأخبار والأوصاف، بطريق قطعي الثبوت، قلنا سابقاً أنه ينتهي إلى اليقين، وهذا الطريق هو:

القرآن الكريم كلام الله تعالى، الذي أثبتنا أنه لا يقبل في خبره شك أو ريب. والسنّة النبوية الصحيحة الثابتة، التي وردت عن لسان النبي محمد ﷺ الصادق الأمين في ما يبلغه عن الله تعالى.

تاركين الأحاديث التي فيها ضعف أو جرح، لأن هذا الكلام يخص الاعتقاد، وهذا هو السبيل الوحيد القاطع بالصحة لإثبات عقيدتنا باليوم الآخر.

طريق فهم الغيبيات واعتقادها:

الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب الذي يجب أن نستيقنه، ويمكن أن نقرب طريقة فهمه بما يأتي:

أ ـ رأى الطبيب في يدك كأساً من الماء، فتأمل به، فقال لك: لا تشرب هذا الماء، فإنه ملوّث، يعرض حياتك للخطر. وأنت لا تعلم عن الطب والماء وخصائصه شيئاً سوى أن هذا الطبيب حاذق.

ب ـ أُخبرتَ أن علماء الأرصاد والفلك حددوا خسوف القمر في ليلة معينة، أو هبوب رياح عاتية في يوم ما، ورأيت أن الخبر يقيني رسمي.

لا شك أنك تستيقن ذلك لأمرين هما:

أ ـ يقينك بأن الطبيب حاذق، وأن علماء الأرصاد صادقون فيما يخبرون.

ب ـ يقينك بأن كلام الطبيب وخبر علماء الأرصاد يقيني صادر من جهة رسمية، على نحو لا يحتمل الكذب.

هذان الأمران وإن كانا من الأمور الغيبية، إلا أنك استيقنتهما، فلم تعد تشك في جزء منهما[1].

ونحن بعد أن أقمنا الأدلة على وجود الله تعالى، وأنه كالي‌ء الكون بعنايته

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

ورعايته، وعلى أن محمداً رسول الله حقاً، صادق فيما يخبر عن الله تعالى، وقد وصل خبره إلى درجة اليقين الذي لا شك فيه، استيقنا عندئذ أن ما أخبرنا به عن أحوال اليوم الآخر هو حق لا مرية فيه، وإن كان ذلك من الأمور الغيبية التي لا تحكم الحواس فيها بالقطع أو النفي.

الإيمان باليوم الآخر هو نتيجة الإيمان بالله:

لا يكون المرء مؤمناً باليوم الآخر إلا إذا آمن بالله تعالى، لذلك قرن القرآن الكريم بينهما في مواضع كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ٨].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٦٢].

وقوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧][1].

فلا معنى إذن للإيمان باليوم الآخر من غير الإيمان بالله ﷻ وأنبيائه.

لذلك كان عبثاً أن تجادل باليوم الآخر مَن لا يؤمن بالله تعالى، لأن مثلك عندئذ مثل مَن ينبيء شخصاً بوصول الإنسان إلى القمر، وذلك ينكر وصوله، وهو يجهل الأمور البدهية التي صار إليها علم الفلك الآن.

فالمجادل في الحياة الآخرة نحيله إلى البراهين القطعية على وجوده تعالى، وقدرته وصفاته الكاملة التي أسلفناها في باب الإلهيات.

فإذا ثبت لنا وجوده تعالى، وثبتت النبوة، فيجب عندئذ أن يكون هناك بعث ومحاسبة، يجزى المرء حسب عمله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] وإلا يلزم الظلم بالنسبة للخالق، إذا ترك محاسبة العاصي وإثابة المطيع، والظلم محال على الله تعالى.

---

(١) وانظر اقتران الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله تعالى في الآيات الآتية: سورة البقرة: ١٢٦، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٦٤، آل عمران: ١١٤، النساء: ٣٨، ٣٩، ٥٩، ١٦٢، المائدة: ٦٩، التوبة: ١٨، ١٩، ٢٩، ٤٤، ٤٥، ٩٩، النور: ٢، العنكبوت: ٣٦، الأحزاب: ٢١، المجادلة: ٢٢، الممتحنة: ٦، الطلاق: ٢.